القليف (راجع المشرق ٢ : ٤١٠)

قال: « القليف الدنّ الذي قد فُضّ عنهُ طينهُ تعريب (κάλως) ومعناهُ الجرّة والوعاء والآنية والسطل وأجانة المرتى ووعاء القرعة »

اقول ما القليف الّا صفة للدنّ المذكور وليست بموصوف البتة وهي لا تدل على الدنّ المذكور الّا اذا كان مقلوفاً اي مقشوراً عنهُ طينهُ كما تعرف من تعريفهم لهُ. فالقليف اذًا فعيل بمعنى مفعول وصفة خلفت موصوفها واستقلّت بالدلالة عليهِ. فتبصَّر

فهذا آخر ما سنح لي من النظر فيما نُشر في اعداد المشرق لسنتهِ الثانية تحت عنوان (الكلم اليونانيّة في اللغة العربيّة) لحضرة اللغوي البارع الاب انستاس الكرملي البغدادي ولم ارد فيما كتبتُ تنقيصًا لرأي حضرتهِ ولا افتياتًا عليهِ وانّما سعيت وراء الحقيقة التي ينشد ضالّتها ولعلّهُ كان مصيبًا وكنت مخطئًا فيما قرّرتُ وكتبت على مكانة العلم القاصر وفوق كل ذي علم عليم

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

سربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني

وكان المتدّم رزق الله كريم الاخلاق مبغضًا للظلم وبما انهُ قبل ان يتولّى المقدّميّة قد شاهد أفعالًا كثيرة منكرة من اهل المتن والكبرياء الذين يعتدون على الضعفاء ويهضمون حقوقهم فما صدّق ان قبض على زمام الاحكام حتى يستخدم سلطتهُ في كفّ ايدي ذوي البغي ودفع ظلاماتهم فمن ثمّ استدعى الى قصرهِ في بشراي جميع الامراء والمقدمين والمشايخ في لبنان وجبل عكّار

وكان في جملتهم مقدّما جبيل والبترون اللذان سبق شيء من خبرهما مع مقدمي ايطو ولحفد والعاقورة. وكان مقدّم العاقورة شيخًا وقورًا اشتعل رأسهُ بياضًا في مقارعة الابطال وكفاح الكماة وقد حمى لبنان نحو نصف قرن من غزوات الاكراد وعرب البقاع ونصيريّة الضنية(١ بسطوتهِ وحسن محافظتهِ على معابر جبل المنيطرة التي منها كانت تهجم تلك العصائب على قرى الجبل

(١ ابو الفداء

وكان الكل من مقدَّمين ومشايخ وأعيان لابسين خوذًا من الفولاذ الصقيل بماءات مفوَّفة بالقصب تبين من تحتها صوارمهم في اغماد مرصعة بالنقوش وكريم الجارة. وكان لتلك الخوذ المتلألئة والصوارم المذهَّبة والطيالس الحريريَّة والبرانس المبرقشة منظر بهيج باختلاطها بثلابس الكهنة السوداء وثياب رؤساء الاديرة المنسوجة من الصوف الاسمر القاتم

فلمَّا احتشد الكل في ردهة القصر وجلسوا في اماكنهم دخل المقدم رزق الله يصحبهُ اسقف بشرَّاي وكاتب اسراره وقرا غريغون قاصد الكرسي الرسولي. وكان في اقصى الردهة مائدة وضع عليهِ المصلوب بين شمعتين مسرجتين وقبالته كتاب الاناجيل الشريفة مع سيف مسلول

فبعد ان طلب المقدَّم رزق الله من الاسقف ان يبارك الاجتماع نهض واقفًا والقى على الحاضرين الكلمات الآتية:

« بعد ان صارت اليَّ ادارة الشؤون على اثر وفاة اخي المرحوم وَجهت همي كما تعلمون الى تأكيد سعادة الوطن ورفاههِ واتت مساعيَّ بما اروم من الثمرات كما تشاهدون لان جميع علاقتنا مع جيراننا هي بحمد الله على غاية ما نروم ونشتهي. نعم ان نائب طرابلس أطاع في بادئ الامر اقوال الوشاة بنا وتظاهر بشيء من العداء لكنَّهُ ما لبث ان اعترف لنا باسم الحكومة المصريَّة بجميع الحقوق والامتيازات التي كانت للمقدمين سلفائنا وبناء عليهِ لم يبقَ عليَّ سوى ان أوطد اساس الاتفاق القديم بيننا وبين الطائفة الدرزيَّة وامراء الغرب (١ فاصبت بتوفيق الله نجاحًا حتى انهُ لم يقم خلاف بين الفريقين الَّا وتمكنَّا من تسويتهِ بالطرق الحبيَّة. وليس في جيراننا من يملك خطةً معادية سوى النصيريَّة والمتاولة الذين كثيرًا ما تضطرنا الاحوال الى دفع غاراتهم علينا بالقوة

« هذا بشأن احوالنا الخارجيَّة غير ان احوالنا الداخليَّة تستدعي انتباهًا والتفاتًا خصوصيين. فقبل كل شيء أريد ان يملك الاتحاد التام بين الشعب اللبناني من اي طائفة ومذهب كان وليس لنا سوى هذه الطريقة حتى نكون اقوياء وقادرين على مقاومة جميع اعدائنا الخارجيين دون ان نرهب منهم بأسًا. وينبغي ان تعلموا اني اعتبر

(١ تاريخ بيروت لصالح بن يحيى

كل السكّان رعاياي واولادي سواء كانوا في جبل عكّار او في جبل لبنان في الساحل او في الجبة موارنة كانوا او ملكيين. نعم اني اشتهي ان يسود ايمان واحد في لبنان من اوله الى آخره لان الايمان هو اعظم رابط للقلوب والاذهان ولاجل هذه الغاية عضدتُ وساعدت بكل مقدرتي الارشيدياكن موسى الذي ارسلهُ غبطة بطريرك الملكيين الى رومية لاجل المداولة في مسألة الاتحاد مع قداسة ابينا العام الحبر الاعظم وهي جارية الآن مجرى حسنًا وعمّا قريب يسافر حضرة فرا غريغون الى المغرب تأكيدًا لنجاحها. ولا شك ان هذه المساعي كلها التي يقوم بها أناس مستقيمون اصحاب ضمائر محبّة للصواب لا يمكن الّا ان تلاقي نجاحًا بشرط ان لا نضع في طريقها عائقًا

« ان الشعب المسكين يرفع عقيرتهُ بالشكوى وهو مصيب في ما يشكو منهُ لانهُ يئن تحت اثقال التكاليف وليس من العدل كما تعلمون ان تكون جميع الامتيازات في جانب وجميع المحاشم في جانب آخر. وبناء عليهِ لم يكن بدّ من توزيع الحقوق والواجبات توزيعًا متساويًا وعادلًا. وهذا هو الوقت المناسب لذلك لاننا اذا لم نعمل اليوم طوعًا سيأتي يوم نعمل فيهِ جبرًا

وهنا انقطع المقدّم هنيهةً عن الكلام وبعد ان اجال نظرهُ في الحضور اتمّ خطابهُ قائلًا:

« إعلموا اذًا يا أتباعي وأعواني الاحباء. اني انّما جمعتكم هنا لتهتمّ بدفع النكبات والشرور المنتّة بالوطن العزيز وبما اننا اولياء الشعب يتحتم علينا ان نبدأ باعطاء المثل فيجب ان نلقي في البلاد سلامًا اكيدًا سلامًا يريح المظلوم ويكفّ يد الظالم وقبل كل شيء أريد توطيد العدل على قواعد ثابتة الاركان. وها انا مستعدّ لاستماع آرائكم والتنقيب بالاشتراك معكم عن العلاج المفيد لازالة العلّة فتكلّموا اذًا ولا تكتموني شيئًا من افكاركم

فعندها نهض مقدم العاقورة اكبر السادة الحاضرين عمرًا فقال

اعلم ايها الامير اننا جميعًا قد استصوبنا خطابك وكلنا نريد إقرار الترتيب والنظام وتعزيز اركانهما بكل ما يلزم من الوسائل وعليهِ فاننا سلفًا نقبل بكل ما تراهُ موافقًا لبلوغ هذه الغاية

ثمّ وقف المقدم زين فقال: اني ولو كنتُ أصغر الكل سنًّا ومن واجباتي ان اتمم

السكوت امام هذا الجمع الموقر اري مع ذلك ضرورة تدفعني الى اعلان السرور الذي غامرنا من هذه المقاصد الحازمة التي عزمت على اجرائها وانا منذ الآن اتبرأ جهرة من كل واحد ولو كان اخي يتجرأ على العبث بقواعد السلام التي عزمنا على وضعها. فاعتمد اذاً علينا ايها الامير واعلم ان جميع اتباعك من ورائك يقولون قولك ويؤيدون رأيك. او ليس هذا هو الصواب ايها الاخوة ؟

وقد تلقى الجميع هذه الكلمات الاخيرة باصوات الاستحسان مؤيدين صراحة عواطف اكثرية الحاضرين. وكان بين هؤلاء قوم ميالون الى بقاء الامتيازات الجائرة على حالها لكنهم لم يجسروا على المجاهرة فلبثوا صامتين ومن ثم فاذا تم الاتفاق بين الكل لفظاً واستمر في الضمائر ناقصاً فان بعض السادة اللبنانيين ممن يشبهون جوسلين في مظالمهم وسوء سيرتهم كانوا قد تواطأوا معهُ ومع مقدم جبيل على التريث وانتظار الحوادث. غير انَّ المقدم رزق الله لم يكن يدري بشيء من ذلك فظنَّ وقتئذٍ ان لبنان كلهُ اصبح في قبضة يديهِ يديرهُ كيف شاء.

فلما فرغ المقدم زين من الكلام قام الامير رزق الله فقال:

أُقسم بالله القادر على كل شيء انهُ لا يخرج احد من هذا القصر قبل ان يحلف بانهُ يعطي سلاماً وهدنة للشعب المسكين وان يحامي الضعيف ويعاقب الجرائم ايًّا كان مرتكبها متقدماً او شيخاً او وجيهاً او فرداً من العامة

قال هذه الكلمات ووضع سيفهُ على مخدة من الجلد كانت بجانبهِ ثم اكمل الكلام:

— اقسم اني أُعاقب بالموت كلَّ من يعبث بهذا السلام. واذا كان بينكم من يأبى هذا القسم فينهض حتى نعرف من هم اعداؤنا او بالحري اعداء شعبنا. فقد مضى وقت الامتيازات وجاء الوقت الذي يتساوى فيهِ الكل امام العدالة والشريعة

اما الجماعة فقاموا كلُّهم مبهوتين من هول هذا الموقف ولم يفه احد منهم ببنت شفة فحينئذٍ خاطبهم المقدم رزق الله قائلاً:

اني لأفرح جداً برؤيتكم جميعاً متفقين معي ومن الآن فلتسقط كل هفوات الزمان الماضي ولتمت ولتصر نسياً منسيًّا واما المستقبل فهو لنا

وحينئذٍ حاف الكل بين يدي اسقف بشرّاي وقرا غريغوريوس قاصد الكرسي الرسولي

على ذخيرة حقيقيَّة من ذخائر الصليب لاقطين كلمات القسم التي املاها عليهم سيدهم وولي امرهم مقدم بشراي

فلمَّا فرغوا من القسم تناول الامير رزق الله سيفهُ فانتضاهُ قائلًا وتربة اجدادي لا بدَّ من توطيد السلام وعلي صيانة الكنائس والاديار وعضد اليتيم والارملة وكل من يحتاج الى الاسعاف والمعونة. وقبل ان يتفرَّق الحضور طرحت عليهم بعض التدابير التي يجب العمل بها في هذا الخصوص فاثبتها الجميع بخطوط ايديهم. ثم ان المقدمين ودعوا سيدهم ومضى كلٌّ الى مركز ولايتهِ وهو على يقين بان المقدم رزق الله يسهر على اعمالهِ وينتبه لكل دقيقة منها فاجرى العدل وسلك بالشعب سلوكًا حسنًا حتى صار الكل يدعون للمقدم رزق الله بالنصر والتأييد وطول العمر

وبعد ان انفضَّ الاجتماع استدعى مقدَّم بشراي احد كتبة اسرارهِ فاملى عليهِ امرًا الى السيد جوسلين بالحضور اليهِ في فرصة ثمانية ايام من بعد وصول الامر لاجل استجوابه عن بعض الشكاوي المقدَّمة عليهِ. غير ان جوسلين لم يحفل بالكتابة ولا بالى بها وكان جبل اللكام بعيدًا عن لبنان. ومع ذلك فانَّ المذكور ما لبث ان عاد اليهِ الانتباه فاخذ يتهيَّأ للحوادث ورمَّم سور قصرهِ واستدعى رجالهُ لحمل السلاح

١١

وبعد مضي اسبوعين على الحوادث التي اتينا بذكرها قدم خيَّال طويل القامة فعبر الجسر النقَّال الموصل الى قصر جوسلين وكان متلثِّمًا بكوفية كبيرة ومشتملًا بعباءة سابغة يتدلى من تحتها سيف عريض. فكان في هذه الهيئة شبيهًا بمشايخ البدو او بالحري بمشايخ الشيعة الاسماعيليَّة الذين اعتادوا ان يغدوا المدَّة بعد المدَّة على سيِّد القصر لاجل مذاكرتهِ في شؤون مختلفة

وكان الراعي عبد الله من مزار النبي بشيت قائمًا عند باب القصر المذكور عملًا بالاوامر التي تلقَّاها فلمَّا شاهد الخيَّال ورأى الاب يوحنا رئيس دير القديسة تقلا في صحبتهِ تبادر الى ذهنهِ انهُ المقدم رزق الله فاسرع لتقبيل يده لكنَّهُ ما لبث ان ارتدَّ باشارةٍ من الرجل المجهول

ثمَّ ان الخيال لمَّا وصل الى الباحة الداخليَّة نزل عن ظهر حصانهِ بخفَّة ولباقة فجعلت الكلاب المربوطة هناك تنبحهُ وتهمُّ بتقطيع السلاسل المقيَّدة بها لتصل

اليه. وما كاد يطأ الارض حتى وفد احد الخدم فامسك باللجام فناولهُ الرجل المجهول قطعة من الفضة قائلًا لهُ:

خذ هذه لك واعلم اني غريب واريد مواجهة سيدك في شأن مستعجل يتعلق بهِ

فدخل الخادم مسرعاً الى القصر ثم عاد بعد دقيقتين قائلًا ان سيدهُ جلس على الطعام ومتى كان في هذه الحالة لا يحب ان يواجه احداً ولا يتعاجل لاحد حتى لو كان المقدم رزق الله بعينهِ قادماً عليهِ

قال الغريب وقد مدَّ يدهُ الى منطقتهِ خذ ايضاً هاتين القطعتين من الفضة وعُدْ الى سيدك وقل لهُ اني آتٍ من قرية علما التابعة لامير بشرّاي وان الاسماعيليَّة اغاروا عليها واسلموا الغلال الى النار فعليهِ ان يُسرع في ارسال نجدة واخبرهُ كذلك اني لا اقوى على الانتظار

فدخل الخادم وقد بهرهُ سخاء الغريب لكنَّهُ ما كذَّب ان عاد مسرعاً كالمرة الاولى فقال ان سيدي يقول بان الفلاحين في علما ليس لهم الَّا الصبر على ما جرى وانك يجب ان تعود هذا المساء لتفاوضهُ ثم قال ايضاً. . . .

وهنا وقف الخادم عن الكلام بغتةً كأنَّهُ عرف ان الذي سينقلهُ عن لسان سيده سيجرّ عليهِ وبالًا. فقال الخيَّال بكل سكينة ووقار: لا بأس من ان تكمّل لنا مقال سيدك. فاجاب الخادم ان سيدي يقول انك اذا زدت في ازعاجهِ يُطلق عليك كلابهُ فتهشمك. فتبسَّم الغريب برصانة ثم كشف عن وجههِ واخرج قطعة من الفضة ونفح بها الخادم قائلًا: لا اسألك غير خدمة زهيدة تذهب الى جوسلين وتقول لهُ انَّ بَرْسيفا هنا

فما نطق الخادم بهذا الاسم حتى اضطرب جوسلين وارتجفت اعضاؤهُ لان مقدم بشراي كان معروفاً بالاسم المذكور عند الشعب ولذلك التفت الى الخادم فقال لهُ: كذبت واردت خداعي فان الغريب لم يقل لك شيئاً من هذا. وهمَّ في الوقت نفسهِ بالنهوض غير ان السكر كان قد عمل فيهِ فوقع على كرسيهِ

— لم اخترع شيئاً من عندي يا سيدي فانهُ قد قال لي صريحاً قل لسيدك ان برسيفا هنا وفي الحال رفع اللثام عن وجههِ فرأيت فيهِ تخايل المقدم رزق الله بن جمال

الدين. ثم ان قامتهُ الطويلة تدل عليهِ دلالةً كافية وكذلك غمد السيف المرصّع بالجواهر والمتدلي من تحت عباءتهِ المخطّطة لا يمكن ان يكون الّا لهُ

امّا جوسلين فزادهُ هذا الكلام ارتماشاً وبدّد عنهُ نشوة الخمر وفيما هو يهمّ باعطاء الاوامر لادخال الغريب انفتح باب الغرفة بغتةً ودخل منهُ الخيّال يصحبهُ الاب يوحنا.

(ستأتي البقيّة)

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع لما سبق)

فنّ الطباعة في الشام (تابع)

ـ المالح في بيروت — المطبعة الادبية

ذكرنا في عدد سابق (راجع المشرق ٤ : ٨٩) اصل هذه المطبعة واشتراك صاحبها الفاضل خليل افندي سركيس مع منشئ مطبعة المعارف منذ سنة ١٨٦٨ ثمّ تفرّدهُ بالشغل سنة ١٨٧٣ . فاخذت المطبعة الادبيّة مذ ذاك العهد تتقدّم وتتحسن ادواتها ومعدّاتها وتتوسّع دائرة اشغالها باتساع دائرة العلوم في البلاد الشاميّة

وكانت احرف هذه المطبعة عند نشأتها من الشكل الاميركاني فصنع لها صاحبها الحرف المعروف بالاسلامبوليّ حفر اُمّهاتهُ جناب الشيخ اللغوي ابراهيم اليازجي ثمّ الحرف الفارسيّ وقد حفر اُمّهاتهُ المعلم قسطنطين البيطار الدمشقيّ والحرف الثلث الكبير وقد حفرهُ الاديب نجيب سركيس ومن هذه الحروف ما هو مزدان بالحركات. وكذلك قد جُهّزت هذه المطبعة باجناس كثيرة من الحروف الافرنجية

امّا الادوات الطبعيّة فمنها طابعان سريعان تُنشر بهما الكتب والجرائد. ومنها طابعان آخران يُداران بالرجل مختصّان بطبع السفاتج (البوالص) والاعلانات التجاريّة ومطابع أُخر للبطاقات يضاف اليها ادوات لتجليد الكتب وتذهيبها ومساكب للحروف

وفي هذه المطبعة تُنشر جريدة لسان الحال التي ظهرت في عالم الصحافة عام ١٨٧٧ . امّا الكتب التي طُبعت فيها من لدن نشأتها فكثيرة نورد هنا ما امكننا الوقوف عليهِ وقد قسمناها حسب موادّها تأميناً للحروف الابجديّة